

رسالة إلى الجميع

هذه رسالة من فريق Earthlings إلى من يختارون النظام والوئام بدل الفوضى والعنف. هذا المشروع صُنع لمن يريدون التفاهم والبناء، والعيش في سلام وتقدم. الناس ليسوا أعداء بعضهم لبعض؛ في وسعهم أن يكونوا متضامنين.

العالم الذي يحلم به كثيرون ينبغي أن يمنح الناس حقوقاً متساوية حقاً وصوتاً متساوياً.

نؤمن بأن التغيير يمكن أن يأتي من غير مواجهة. وبدل أن نحارب السيئ، اخترنا أن نُعين الحس، وكفنا عن البحث عن المذنبين. فليس أحد بعينه مذنباً فيما يجري. واستبدال قائد بآخر لا يغيّر شيئاً في الجوهر. والكذبة أننا نطق أننا نعيش عيشاً سيئاً لأن ثمة اناساً سيئين. والحقيقة أن سلوك الإنسان رهن بالظروف التي هو فيها. وهذه الظروف يحددها بناء المجتمع الذي يفرض علينا قواعد السلوك والقرارات.

عن الشعوب تتكلم الدول

الشعوب مقبولة في الأمم المتحدة ضيوفاً: يُستمع إليها، وتُستشار، لكن التصويت يجري من دونها.

يفتح ميثاق الأمم المتحدة بعبار «نحن شعوب الأمم المتحدة». غير أنه في سنوات وجوده كلها لم تحسم كلمة واحدة قالتها الشعوب شيئاً بذاتها. الدول هي التي تقرر، لا الشعوب. ومصالح الدولة ومصالح الشعب تفترق أكثر مما جرت العادة أن يُقال جهراً.

القرارات تُتخذ في مكاتب منفردة، وتقع عواقبها على ملايين الناس. نحن ندفع فواتير حُررت من دون موافقتنا. والدول لا تفي بمهامها، لا لأنها سيئة، بل لأن هذا العمل لا يمكن أداؤه على تمامه من دون مجتمع مدني بئاء. الدول تحتاج إلى طرف مقابل، وهو غير موجود اليوم.

كل شعب قائم مرتبط بالدول عبر الجنسية وعبر أرض الإقامة. وما من شعب واحد له صوت مستقل.

من يفحص الذين يقررون

في الأنظمة القانونية ابتُكرت منذ زمن بعيد حمايةً من الخطأ ومن إساءة استعمال السلطة: الضوابط والتوازنات. المهمة موضوعية وضعاً صحيحاً، غير أن البناء يعمل عملاً رديئاً. فالضابط يمكن شراؤه، والتوازن يمكن تهريبه، وهذا لا يحدث في حالات استثنائية بل على الدوام. وكل الضوابط والتوازنات قائمة داخل ذلك النظام الحكومي نفسه الذي يُفترض أن تفحصه. وهذا النظام الحكومي نفسه هو الذي ينشئها ويعينها وينفق عليها.

وعلى المستوى الدولي لا يوجد حتى هذا.

لا يعرف ميثاق الأمم المتحدة أي إجراء لعزل الأمين العام، فهو ببساطة غير موجود. وأجهزة الرقابة في الأمم المتحدة تابعة للأمم المتحدة ذاتها. ولا سبيل إلى مقاضاتها: فالأطراف أمام محكمة العدل الدولية لا يكونون إلا دولاً.

كيف يمكن للعالم أن يطمئن إلى أن الأمين العام لم يُشترَ ولم يُرهب من دولة ما؟ لا سبيل إلى ذلك. ووسيلة الفحص غير موجودة. الفحص الحقيقي لا يكون إلا من موضع لا تبلغه ميزانية ولا تعيين ولا إذن. وهذا الموضع غير قائم اليوم. ونحن نبنيه.

شعب جديد

مبادرتنا هي إنشاء شعب غير إقليمي. لكل من هو مستعد للمشاركة في بناء مجتمع من طراز جديد.

سيكون هذا أول شعب لا يدخل في أي دولة ولا يطالب بأرض. شعب يقرر مصيره بنفسه ويعبر عن إرادته بنفسه. يتقاسم الناس فيه قيماً مشتركة ويعترفون بانتماء مشترك. شعب يمكن الدخول فيه باختيار واعٍ من صاحبه. شعب يمكن الخروج منه في أي وقت من غير بيان الأسباب. لا يستطيع أحد فيه أن يراكم سلطة على غيره، وهو قائم على التعاون لا على التنافس. ويبقى الإنسان مع ذلك مواطناً في بلده، محتفظاً بقوميته ودينه وثقافته، لكنه ينال ما لم يكن له قط: مجتمعاً من طراز جديد.

سمّينا هذا الشعب Earthlings لأننا جميعاً مرتبطون بالكوكب الذي نعيش عليه.

ويبرز سؤال: لماذا يجوز أصلاً إنشاء شعب كهذا؟

لأن في وسع الناس أن يجتمعوا شعباً من غير أن يستأذنوا أحداً. شعباً غير مربوط بأرض ولا بدولة ولا بأصل ولا بلغة أو ثقافة. ولفهم هذه المسألة فهماً أوفى، اقرأوا وثائق «الأساس القانوني» و«الصوت المدني» و«كيف ينشأ شخص من أشخاص القانون» و«الاعتراضات والأجوبة».

فالشعب على وجه التحديد هو ما يعترف له القانون الدولي بحق تقرير المصير: حق أن يقرر تطوره بنفسه وأن يتكلم باسمه. ولا الأمة ولا الجماعة العرقية ولا السكان مخولون هذا الحق.

يمكن أن يؤسس الناس شعباً من غير تسجيل حكومي. فأي حركة اجتماعية أو جمعية يلزمها هذا التسجيل، ويمكن إغلاقها بقرار من الخارج. أما الشعب فلا يمكن إغلاقه، وهو قائم ما دام أناسه قائمين. ولا يتطلب وجوده اعتراف أحد سوى اعتراف الناس أنفسهم.

لماذا الآن فقط

لا يمكن تأسيس شعب إلا حين يُعرف من ينتمي إليه، وحين يمكن عدّ الأصوات عدّاً نزيهاً. وما دام الناس يعيشون متباعدين ولا يستطيعون التحقق بعضهم من بعض، لم يكن يتحقق لا هذا ولا ذلك. فأَي قائمة مشاركين كان يمكن ملؤها بأسماء مختلفة، وكان في وسع شخص واحد أن يُدرج نفسه فيها مرات كثيرة. ولم يكن التحقق من نتيجة التصويت ممكناً كذلك.

واليوم حُلّ هذا. يؤكد الإنسان أنه حيّ وأنه واحد، من غير أن يكشف من هو. والصوت له وحده: لا يُشترى ولا يُراكم. ومجرى أي تصويت ونتيجته مفتوحان، ويستطيع كل امرئ أن يتيقن منهما من غير أن يصدّق أحداً على كلمته. ونشاط الشعب كله مفتوح للفحص أيضاً.

لذلك ما كان لشعب كهذا أن ينشأ لا قبل مئة سنة ولا قبل عشرين.

الضابط الخارجي

كثيرون يراقبون السلطة: الصحافة، والمدافعون عن الحقوق، ومراقبو الانتخابات. وهم يؤدون عملاً لازماً، ولهم جميعاً موطن ضعف واحد. يمكن قطع التمويل عنهم، وسحب اعتمادهم، ورفض تسجيلهم، وطردهم من البلد. والفاحص الذي يمكن إطفأؤه ليس ضابطاً موثقاً.

أما شعب Earthlings فلا يمكن إطفأؤه. فهو غير مسجّل في أي بلد، ولا يتلقى مالاً من أي ميزانية، وليس له مكتب يُغلق ولا إذن يُسحب. ولأول مرة يجري الفحص على نحو لا يستطيع معه المفحوص لا أن يؤثر في الفاحص ولا أن يتحكم فيه.

أما المسألة فلا نملكها ولن نمارسها: ليس لنا هذا التفويض. وقوة الضابط الخارجي في أنه يجعل مرئياً ما يُحاول إخفاؤه. هكذا يعمل مراجعو الحسابات ومراقبو الانتخابات. في وسعنا أن نقابل ما قيل بما فعل، وأن نتكلم عن الفارق كلاماً يجعله بيناً للجميع.

هذه ليست مقارعةً للسلطة. فمراجع الحسابات لا يقارع المصرف، والمراقب لا يقارع لجنة الانتخابات. والفحص من الخارج يحتاج إليه السلطة نفسها: فهو السبيل الوحيد إلى إثبات نظافتها، حين يكون فاحصوها هم أنفسهم على ميزانيتها.

من يفحصنا نحن

السؤال الذي طرحناه على الأمم المتحدة ملزمون بأن نطرحه على أنفسنا.

الصوت في شعب Earthlings لا يُشترى ولا يُراكم ولا يُنتزع. وسجل المشاركين ليس تحت سيطرة مشغّل واحد. وكل قرار يستطيع أي إنسان أن يتحقق منه. وأما المبادئ الخمسة التي تحمي الإنسان من سلطة الشعب نفسه فلا يمكن إلغاؤها لا بأغلبية ولا بميثاق Earthlings ولا بتأويل.

عن هذا السؤال نحن نجيب. والأمم المتحدة لا جواب لها.

من أين نبدأ

يستطيع الناس الأحرار المفكرون أن يبنوا معاً نظاماً مدنياً ثانياً، قادراً على التعايش السلمي مع النظام القائم. عندئذ يصير لكل إنسان اختيار: في أي مجتمع يريد أن يعيش. والشعب الذي يثبت جدارته العملية ستكون له كل الأسباب ليصير شخصاً كامل الأهلية من أشخاص القانون الدولي.

نُشرت في هذا الموقع الوثائق التي تبين لماذا يلزم هذا، وكيف هو مبني، وبأي شيء يستند قانوناً، وماذا يعطي كل إنسان ومن يأتي بعدنا.

ابدأوا بالاطلاع على إعلان Earthlings.

فريق Earthlings